ليست الا احدى التبريرات التي اعتاد الساسة البريطانيون تقديمها فيما يتعلق باسباب اصدار وعد بلفور لتغليف مطامعهم ومخططاتهم الاستعمارية · وقد اوردنا كلام لويد جورج في هذا السياق ، وتحفظنا عليه ، وقلنا انه هو الذي يقول ذلك ـ لا نحن (انظر ص ٢٨٠ من الكتاب) · واعتراضات سمير ايوب ، في هذا الصدد ، هي محاولة لقلب الحقائق رأسا على عقب ، وتكاد تصل حتى الدس ·

ونكتفي بهذا القدر من الردود على انتقادات سمير ايوب العينية ، حتى لا نثقل على القارىء ، مؤكدين ان الانتقادات الاخرى المشابهة لها لا تختلف كثيرا ، في « مستواها » ، عن تلك التي تعرضنا اليها في هذا الرد ·

(٣)

وننتقل اخيرا الى الاعتراضات حول المنهج · وقبل ان ندخل في صلب الموضوع ، لا بد من الاشارة الى ان سمير ايوب كان غير منهجي عند حديثه عن المنهج ، اذ انه يتطرق الى هذه الناحية في فقرات عدة من مراجعته ،دون ان يربط بينها ، وكذلك ـ وهذا هو المهم ـ دون مبرر · ومثل هذا العمل يعتبر منافيا لابسط اسس الكتابة العلمية الصحيحة ، اذ لا يجوز ان يجزأ الحديث حول نقطة معينة ، خصوصا اذا كانت واضحة ومحددة ، على طول المادة المكتوبة وعرضها ، بل على العكس من ذلك ينبغي تجميعه كله في فقرة او فقرات محددة في مكان واحد ·

ففي الصفحة ١٥٣ (العمود الاول) من المراجعة يتحفنا سمير ايوب باول ارائه عن المنهج ، قائلا : « ان لا تاريخ دون فلسفة تاريخية متماسكة » ، بينما يرد الرأي الثاني في الصفحة ١٥٤ (اخر العمود الاول ومطلع العمود الثاني) ومفاده ان « ما يحفظ التاريخ السياسي هو الفكرة والعناوين الكبرى ··· والتفاصيل وحدها كما يقول فلاسفة التاريخ لا تكفي للارتقاء درجة واحدة في الفهم » · أما الرأي الثالث فيرد في الصفحة ١٥٧ (العمود الثاني) وهو ان « ··· المنهج متصل بالعقل والفكر الانساني · وكل منهج علمي لا بد له من وجود فرض · ومصدر الفرض في بعض الاحيان قد يكون التساؤل وقد يكون الظن · ويشمل المنهج الفرض والتساؤل والظن والاختيار النظري » · وهنالك ايضا رأي رابع ، يرد في الصفحة ١٥٨ (العمود الاول) حيث يظهر سمير ايوب اكثر وضوحا ، فيكتب : « الباحث ينفعل بالواقع ويقف منه موقفا معينا ·· يحب ويكره ··· ولن يستطيع ان يكون باحثا حقيقيا الا اذا ترجم مشاعره الى خيال · فالخيال بحد ذاته يلهم الباحث ويضع امامه امكانيات واختيارات عديدة » ·

ومع تجميع هذه الاراء وقراءتها سوية، ينفضح امر سمير ايوب وتظهر مشكلته الحقيقية : انه يتحدث بنبرة عالية ، وثقة بالغة بالنفس عن المنهج ، ولكن لا منهج لديه ! انه لا يقترب بتاتا من الناحية العملية ، ولا يقترح علينا اي منهج ، وحتى لا يبدي رأيه من اي المناهج التي كان علينا ان نعتمدها لكتابة تاريخ الصهيونية · وان كانت هذه الحال فما الحاجة الى الكلام المنمق في المراجعة حول المنهج ، وما الفائدة منه ؟

وبغياب اي رأي واضح لسمير ايوب حول المنهج الذي يقترحه او يريدنا ان نتبعه ، لم يبق امامنا الا اللجوء الى التخمين لمعرفته · وليس من الصعب القيام بذلك ، اذا قرأنا المراجعة بتمعن ·